مع «ياقوت» في «معجماته»

الدكتور إبراهيم السامرّائيّ(*)

أقول: غلب اسم ياقوت هذا على سائر مَن عُرف بهذا الاسم من «المملوكين»، فليس لي أن أخصّصه تعريفًا به بـ«الحمويّ» أو «الروميّ» أو «البغداديّ»[1]. ولا أريد أن أعرض لسيرته التي حرّرها محقّقو معجم البلدان وسائر كتبه. وفي مقالة دائرة المعارف الإسلاميّة بطبعاتها الإنكليزيّة

(*) عضو مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ.

(١) أقول: قد عرف الأندلسيّون «ياقوت» وكانت شهرته لديهم «البغداديّ» كثيرة، وهم في هذا قد جروا على ما كثر وروده من بغداد فقالوا: أبو عليّ البغداديّ، وهو «القالي» صاحب الأمالي. ولا بدّ أن أبسط في هذه الحاشية موجزًا أفدته من الزركليّ في الأعلام وغيره، ولا سيّما ممّا بسطه الأستاذ إحسان عبّاس في مقدّمته الفائقة لـ معجم الأدباء في نشرته الأخيرة:

أقول: هو ياقوت بن الرومي الذي جُعل «عبدالله الحمويّ، أبو عبدالله شهاب الدين، وهو مؤرّخ أديب من أشهر مَن كتب في البلدان». لقد جيء به مملوكًا فابتاعه ببغداد أحد التجّار وهو عسكر بن أبي نصر بن إبراهيم الحمويّ، وقد لحقته شهرة صاحبه هذا فعرف بـ«ياقوت الحمويّ». لقد ربّاه هذا التاجر وهو طفل ابن خمس سنوات وعلّمه، ثمّ استعمله في مصالحه التجاريّة التي اقتضته السفر في البلاد، ثمّ أعتقه سنة ٥٩٦هـ. لقد عاش ورّاقًا يتجر بالكتب ويتكسّب بنساخها. وقد عاد إليه مولاه وعطف عليه فأعطاه شيئًا من المال واستخدمه في تجارته، ومضى في عمله إلى أن توفّي «عسكر» فاستقلّ بعمله بعد ذلك. لقد رحل رحلة طويلة إلى مرو في خراسان وأقام فيها يتّجر، ثمّ انتقل إلى خوارزم. واتّفق، وهو في خوارزم، أن خرج التتر سنة ٦١٦هـ، فهرب منهم مخافة أن يلحقه ظلمهم تاركًا ما يملك، ثمّ رحل إلى حلب، وهو معوز مكدود إلى أن توفّي سنة ٦٢٦هـ. ومصنّفاته معروفة بسّطها كثير من الدارسين، وقد ترجم له ابن خلّكان وغيره.

والألمانيّة والفرنسيّة فائدة جليلة. ولكنّي سأعرض لما كان لي في «معجماته» التي بدا لي أنّ شيئًا من هذا لم ينله الدارسون.

وكأنّ الدارسين عامّة، ولا أستثني منهم مَن اضطلع بنشر كتبه، قد أدركوا إدراكًا كافيًا الصلة الوثيقة بين معجماته وهي: معجم البلدان ومعجم الأدباء ومعجم الشعراء الذي أشار إليه كثيرًا في معجمَيْه الأوّل والثاني ولم يصل إلينا غير ما وقفنا عليه في «إشاراته» و«إحالاته»[٢].

وقد يكون لي أن أقرّر أنّ هذه المعجمات نسيج متّحد التحم سداه بلحمته، فأنت تلمح أو تتبيّن وشيجة رحم بين كلٍّ منها بعضها مع بعض.

ولي أن أذهب في هذا فأقول: إنّ «المعجمات» الثلاثة هذه من مصادر الأدب، وأريد بـ«الأدب» دلالته العامّة لدى القدماء. إنّه يتجاوز الشعر والنثر والخطابة إلى معارف أخرى من الصرف والنحو واللغة والأخبار والأنساب والتاريخ، وما يتّصل بسلوك الناس وعاداتهم وطرائق تفكيرهم. وأنت واجد هذا وغيره في هذه «المعجمات»، كما أنت تجد نحْوًا من هذا وغيره في المطوّلات من المعاجم كـ لسان العرب وغيره.

لقد أدرك هذا الأمر المستشرق الروسيّ كراتشوفسكي الذي صنّف كتابه الشهير فوسمه بالأدب الجغرافيّ، وأشار فيه إلى أنّ العرب عرفوا هذا التوجّه «الموسوعيّ» في عصورهم القديمة. وقد تعجب أن تجد الكتب التعليميّة في عصرنا قد ذهب أصحابها إلى أنّ «كتب البلدان» هي كتب جغرافية. وقد يكون لي أن أيتئس بهذا الوصف وهو «الجغرافيّ»، ذلك يحجب معارف جمّة أوعبها أصحابها في هذه المصادر.

أقول: لقد غاب عن أهل الدرس أنّ ياقوتًا وغيره من أصحاب المعجمات والمطوّلات هم من أهل الأدب والنقد، فأنت تجد في هذه

---

(٢) وأنا أومئ بهذا إلى ما أفاده الأستاذ إحسان عبّاس من كون ياقوت قد اعتمد في معجم البلدان على كتاب الأنساب لابن السمعانيّ، وهو قد سبق أن أفاد أنّ ياقوتًا في عمله هذا غير مسبوق به، فقد أبدعه وأتى بما هو جديد. وليس لنا أن نسلّم بهذا كما سنرى.

المعجمات رأيًا نقديًا يتجاوز حدود «البلاغة» وما يكون من أجناسها وضروبها. ومن المفيد أنّ أبسط قدرًا من موادّ معجم البلدان لأتبيّن المادّة الأدبيّة في سمتيها التي تتجاوز ما نعرفه، وأبدأ بما أجده في:

«آبة»[٣] قال: من قُرى أصفهان، وقيل: من قُرى ساوة.

أقول: هذا كلّ ما ذكره من فائدة بلدانيّة، ولكنّه أضاف: وأهل آبة شيعة، وأهل ساوة سنّيّة، لا تزال الحروب بين البلدين قائمة على المذهب.

قال أبو طاهر بن سِلَفة: أنشدني القاضي أبو نصر أحمد بن العلاء الميمنديّ بأَهَر، من مدن إذَرْبِيجان، لنفسه:

وقائلةٍ أتُبغِضُ أهلَ آبَهْ وهم أعلامُ نظمٍ والكتابهْ؟
فقلتُ: إليكِ عنّي إنّ بغلي يُعادي كلَّ مَن عادى الصحابهْ

أقول: فأنا أرى أنّ هذا الذي بسطه ياقوت في هذه «البليدة» يعطي الدارس صورة واضحة عن أهل أصفهان وتوزّعهم بين سُنّيّة وشيعة. ثمّ إنّنا نجد أنّ الأدب القديم يقدّم إلى المؤرّخ مادّة مفيدة تتجاوز مادّة الخبر التأريخيّ.

وأتحوّل إلى موضع آخر هو «آسك».

أقول: وكأنّ الاسم في معجم البلدان أثبته ياقوت على التغليب، ذلك أنّ «آسك» هو موضع ذكره أهل المواضع والأمكنة في مصنّفاتهم. وقد أشار ياقوت إلى كثير منهم فذكر الأصمعيّ من المتقدّمين صاحب ما أثر عن كتابه جزيرة العرب أو بلاد العرب، وذكر بُغدة الأصفهانيّ كما ذكر غير هذا كالزمخشريّ مثلًا، فليس لنا أن نقول كما قال أحد الدارسين: إنّ معجم ياقوت في البلدان غير مسبوق، ولو أنّه قال إنّ سعة ما في هذا المعجم من مواضع وبلدان وآثار وفوائد لا يضاهيها ما في غيره.

---

(٣) أقول: سأفيد في استقرائي هنا ممّا ورد في معجم البلدان (ط. صادر، بيروت) على حروف المعجم، فليس من حاجة إلى بيان الجزء والصفحة.

وأعود إلى «آسك» فأجد قول ياقوت:

موضع قربَ أرّجان...

ثمّ قال: وهي بلدة ذات نخيل ومياه، وفيها إيوان عالٍ في صحراء على عينٍ غزيرة وَبيئة، وبإزاء الإيوان قبّة منيفة ينيف سمكها على مئة ذراع بناها الملك قباذ والد أنو شروان.

أقول: في هذا فائدة «جغرافيّة» تاريخيّة، ولكنّه يجد أنّ الفائدة تضطرّه إلى أن يبسُط ما أفاد من المصادر التاريخيّة فيقول:

حدَّث أهل السِّيَر قالوا: كان أبو بلال مِرداس بن أُدَيّة، وهو أحد أئمّة الخوارج، قد قال لأصحابه: قد كَرِهتُ المُقام بين ظَهْرانَي أهل البصرة، والاحتمال لجور عبيدالله بن زياد، وعزمتُ على مفارقة البصرة، والمقام بحيث لا يجري عليّ حكمه من غير أن أشهر سيفًا أو أقاتل أحدًا، فخرج في أربعين من الخوارج، حتّى نزل آسَك، موضعًا بين رامهرمز وأرّجان، فمرَّ به مال يُحمَل إلى ابن زياد من فارس، فغَصَبَ ما عليه، حتّى أخذ منهم بقدر أُعطيات جماعته، وأفرج عن الباقي. فقال له أصحابه: علامَ تفرج عن الباقي؟ فقال: إنّهم يُصلّون، ومَن صلّى إلى القِبلة لا أُشاقّه.

وبلغ ذلك ابن زيادٍ، فأنفذ إليه معبد بن أسلم الكلابيّ...

أقول: وكانت الوقعة بينهما، واستطاع الخوارج، وهم أربعون، أن يغلبوا جيش ابن زياد. فقال في ذلك عيسى بن فاتك الخطّيّ أحد بني تيم الله بن ثعلبة في كلمة له:

فلمّا أصبحوا صلّوا وصاموا إلى الجرد العتاق مُسوّمينا

وجاء فيها:

أألفا مؤمنٍ فيما زعمتُم ولكنّ الخوارج مؤمنونا
هُمُ الفئة القليلة غير شكٍّ على الفئة الكثيرة يُنصَرونا

وأنت تجد أنّ الفائدة البلدانيّة في هذا الموضع حاشية موجزة مع

هذه السعة الأدبيّة التاريخيّة. وإنّي لأجد الفوائد الأدبيّة هذه كانت من موادّه في معجم الأدباء ومعجم الشعراء.

وأتحوّل إلى «آمِد» التي قال فيها ياقوت:

بلد قديم حصين ركين مبنيّ بالحجارة السود على نَشَز دجلة محيطة بأكثره، مستديرة به كالهلال، قال: وأظنّها رومية.

يُنسب إليها الآمديّ أبو القاسم الحسن بن بشر المتوفّى سنة ٣٧٠هـ صاحب الموازنة. ويُنسب إليها من المتأخّرين أبو المكارم محمّد بن الحسين الآمديّ، شاعر بغداديّ مكثر مجيد، مدح جمال الدين وزير الموصل، ومن شعره:

ورَثّ قميصُ الليل حتّى كأنّه سليبٌ بأنفاس الصَّبا متوشّحُ
ورَفّع منه الذيل صبح كأنّه وقد لاح مسحٌ أسودُ الليل أجلحُ
ولاحت بطبثاتُ النجوم كأنّها على كبد الخضراء نَورٌ مُنتّحُ

ومات أبو المكارم هذا سنة ٥٥٢هـ.

أقول: وكأنّي هنا في هذا الموضع وغيره أتبيّن الصلة الوثيقة بين «معجمات» ياقوت.

وإذا كان لنا أن نفيد هذه الفائدة في «آمِد» فإنّا لنجد شيئًا آخر في «آمل» التي جاء فيها: وقد خرج منها كثير من العلماء، ولكنّهم قلّ ما يُنسبون إلى غير طبرستان، ومنهم أبو جعفر الطبريّ صاحب التفسير والتاريخ. وأصله ومولده من آمل، ولذلك قال أبو بكر محمّد بن العبّاس الخوارزميّ، وأصله من آمل أيضًا:

بآمل مولدي وبنو جريرٍ فأخوالي، ويحكي المرء خالَهْ
فها أنا رافضيٌّ عن تراثٍ وغيري رافضيّ عن كلاله

أقول: وأنت تجد في سعة أدب معجم البلدان فوائد جمّة لا حصر لها.

وأذهب إلى «أُباغ» فأجدها في قول ياقوت:

قرية بعِرْض اليمامة، وفيها كانت وقعة خالد بن الوليد مع مسيلمة الكذّاب، قال شبيبٌ بن يزيد بن النعمان بن بشير يفتخر بمقامات أبيه:

أتنسون يوم النُّعف نَعْف بُزاخةٍ ويوم أباضي إذ عنا كلّ مُجرمِ
ويوم حنينٍ في مواطن قتلةٍ أفانا لكم فيهن أفضل مَغْنَمِ

وقال رجل من بني حنيفة في يوم أباض:

فللّهِ عينا مَن رأى مثل معشرٍ أحاطت بهم أجالبم والبوائقُ
فلم أرَ مثلَ الجيش جيش محمّدٍ ولا مثلنا يوم احتوتنا الحدائقُ
أكرَّ وأحمى من فريقين جمّعوا وضاقت عليهم في أباض البوارقُ

أقول: وليس لقائلٍ أن يقول إنّ ياقوتًا قد اقتفى صاحب الأنساب وهو يحرّر معجم البلدان الذي كان له في درس واسع في جملة من المصادر القديمة.

قال: وقرأتُ بخطّ أبي الحسن بن الفرات: وسُمّي آكل المرار، لأنّ امرأته هندًا سباها الحارث بن جبلة الغسّانيّ، وكان أغار على كندة، فلمّا انتهى بها إلى عين أُباغ، هكذا قال أبو عبيدة [أي بالضمّ]، وقال الأصمعيّ: أَباغ بالفتح...

ثمّ أورد أبياتًا.

وفي «عين أباغ» يوم بين ملوك غسّان، ملوك الشام، وملوك لخم ملوك الحيرة. قُتل فيه المنذر بن امرئ القيس اللخميّ.

وقد يكون لنا أن نتبيّن في معجم البلدان غلبة العروبة والعربيّة حين نجد العرب شعوبًا وقبائل قد تفسّحوا في البلاد البعيدة عن ديارهم فكانت مواطن لهم. فأنت تجد حين تقرأ في معجم البلدان «أَبَرْشَتَويم» وهو من جبال «البُدّ» من أرض موقان من نواحي إذَرْبيجان، وهي المكان الذي أوَى إليه بابك الخرّميّ، وأنّ أبا تمّام الشاعر قد مدح أبا سعيد محمّد بن يوسفَ الثغري فقال:

وفي أَبَرْشَتَويمَ وهَضْبَتَيْها طلعتَ على الخلافة بالسعود

قلت: إنّ هذه المعجمات صنعة حاذق ماهر جمع بين أجزائها فكان فيها ما يشدّ سداها إلى لحمتها من الفوائد. وقد نجد إشارات في بعضها إلى بعضها الآخر.

ولك أن تنظر في «إسْبيل» وهو حصن بأقصى اليمن، وقيل: حصن وراء النُّجَير، وقيل: جبل في مخلاف ذمار...

وقد جاء فيه في ما ذكره ياقوت:

حدّث مسلم بن جُندَب الهذليّ قال: إنّي لمع محمّد بن عبدالله النميريّ ثمّ الثقفيّ بنعمان، وغلام يشتدّ خلفه يشتمه أقبح شتم، فقلت له: مَن هذا؟ فقال: الحجّاج بن يوسف، دعْه فإنّي ذكرتُ أخته في شعري، فأحفظه ذلك، فلمّا بلغ الحجّاج ما بلغ، هرب منه إلى اليمن ولم يجسر على المقام بها فعبر البحر، وقال:

أتتني عن الحجّاج والبحر دونَنا عقاربُ تسري، والعيونُ هواجعُ

والقصيدة في عشرة أبيات...

وأضاف ياقوت: وكان عاقبة أمره أنّ عبد الملك بن مروان أجاره من الحجّاج في قصّة فيها طول ذكرتُها في كتاب معجم الشعراء بتمامها.

وجاء في «شأم» من معجم البلدان:

وقال جبلة بن الأيهم، وهو ببلاد الروم بعد أن تنصّر أنفة من غير أن يقتنص في قصّة فيها طول فذكرتها في أخبار حسّان من كتاب الشعراء.

وجاء في «عسكر مكرم»:

وقد نُسِب إليها قوم من أهل العلم منهم العسكريّ أبو أحمد الحسن بن عبدالله، وقد ذكرت أخباره في كتاب الأدباء.

وقد يكون لنا أن نعدّ كتاب المشترك وضعًا والمقترف صُقعًا شيئًا يسيرًا من معجم البلدان.

ولتجاوز هذا العمل الكبير الفائق وهو معجم البلدان إلى ما بقي من

«معجماته» ولنقف على معجم الأدباء فأقول:

جاء في هذا الكتاب[٤]: إنّه اختار له اسم إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ولكنّه، أي ياقوت دعاه معجم الأدباء[٥] كما دعاه أخبار الأدباء[٦]، وكتاب الأدباء[٧]. وهو أخبار النحويّين[٨].

وقد سمّاه ابن الشعّار معجم أئمّة الأدب[٩].

أقول: وقال الزركلي في الأعلام[١٠]. وفي النسخة المطبوعة [أراد طبعة دار المأمون بتحقيق أحمد فريد رفاعي] استُدرك بتراجم ملفّقة دُسّت فيه.

وقد وجدتُ في كشف الظنون لابن النديم أنّه إرشاد الألبّاء إلى معرفة الأدباء، وكأنّه أفاده ممّا ورد في وفيات الأعيان لابن خلّكان.

وقد استدرك الأستاذ إحسان عبّاس ثلاث تراجم ذكرها في مقدّمته للكتاب أفادها من الوافي للصفديّ، ومن فوات الوفيات لابن شاكر الكتبيّ وغيرهما.

ولكنّي لا يمكن أن أغفل ما وجده الأستاذ مصطفى جوّاد - رحمه الله - في معجم الأدباء ممّا اهتدى إليه في المخطوطات والمطبوعات ودعاه الضائع من معجم الأدباء، ونشره في مجلّد من مجلّدات المجمع

---

(٤) معجم الأدباء (تحقيق إحسان عبّاس، بيروت، ١٩٩١) ١/١٥، وكذلك دعاه ابن المستوفي.

(٥) المصدر نفسه، ١/٤٧٦، وهو بهذا الاسم في بعض ما ورد في معجم البلدان.

(٦) المصدر نفسه، ١/٥٠٨.

(٧) المصدر نفسه، ١/٦١٢.

(٨) المصدر نفسه، ١/٧٢١. أقول: وقوله: «أخبار النحويّين» يشير إلى أنّ مصطلح النحويّين لدى المصنّفين الأقدمين يندرج في «الأدباء»، ولذلك جعل الأنباريّ كتابه في النحويّين نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء.

(٩) قلائد الجمان، طبعة فرانكفورت، ١٩٩٠، ٩/٣٤٠.

(١٠) الأعلام، للزركلي. أقول: والطبعة الأولى للكتاب باسم إرشاد الأريب... هي ما اعتنى بها مرغوليوث في مطبعة هندية في القاهرة ١٩٠٧-١٩١٦ في سبعة أجزاء.

العلميّ العراقيّ (بغداد، ١٩٩٠). وهذه تراجم كثيرة تؤلّف جزءًا من الكتاب.

وقد أشار الأستاذ إحسان عبّاس إلى هذا الذي استدركه مصطفى جوّاد، ولم يثبت أو يضف شيئًا إلى ما كان منه في مقدّمته. غير أنّي وجدتُه يذكره في آخر صفحة من الجزء السابع الذي صرفه إلى «المقدّمة» والفهارس، وهذه الصفحة باللغة الإنكليزيّة. ولكنّي لم أجد في مرادّ الكتاب إشارةً إلى مصطفى جوّاد.

أقول: كأنّ الأقدمين قد أدركوا العلم خيرًا منّا، فقد عرفنا ممّا يتّصل بتاريخ بغداد للخطيب أنّ ابن الدبيثيّ قد ذيّل على ابن السمعانيّ الذي استدرك وذيّل على تاريخ الخطيب، ومثل هذا كثير لدى الأوائل الذين واصلوا المسيرة، فأكمل بعضهم واستدرك على ما لم يكن لمَن سبقه. ومن هذا ما كان للمنذريّ في التكملة، وما كان من طبقات ابن شهبة وغير هذا.

أقول: لقد كان لي مسيرة مضنية في نشرة الأستاذ إحسان عبّاس، أسعى إلى أن أجد شيئًا ممّا استدركه الأستاذ مصطفى جوّاد، ولكنّي لم أجد ذلك، مع أنّه أي الأستاذ إحسان قد ذكره في الصفحة الأخيرة باللغة الإنكليزيّة، ولم يكن معي مجلّة المجمع العراقيّ. وقد كان من حسن الاتّفاق أن وقفت على بحث الدكتور مصطفى جوّاد منشورًا كتابًا[١١].

وقد أشار أهل الدرس إلى أنّ ياقوتًا راعى على حروف المعجم في إثبات التراجم، ولكنّه قدّم وأخّر فأخلّ بالترتيب. وقالوا: إنّ فيه أغلاطًا في الترتيب وأشاروا إلى أنّه أورد ترجمة أحمد بن أميّة بين ترجمتي أحمد بن بختيار وأحمد بن بشر. وأورد ترجمة إبراهيم بن مسعود وسط التراجم

---

(١١) وقد كان من الاتّفاق الحسن أن وقفت على هذا الذي كتبه الأستاذ مصطفى جوّاد في مجلّة المجمع العراقيّ قد نشر ثانية في كتاب طبع في بغداد سنة ١٩٩٠. وقد وجدت فيه فوائد سنيّة تتّصل بدرسي هذا.

المختلفة للعلم إبراهيم بن محمّد[١٢].

أقول: وقد يكون هذا من صنعة النّساخ.

قلتُ: وقد كان من «سيرتي» التي أشرتُ إليها أنّي وجدت ترجمة لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني[١٣]، ثمّ وجدتها ترجمة ثانية للرجل نفسه في موضع آخر[١٤]. ومثل هذا قد ترجم لعليّ بن حمزة البصريّ في موضعين[١٥] من الكتاب.

وكنتُ في سنين خلت أتابع تراجم الرجال فوجدتُ صاحب روضات الجنّات قد أتى بشيء من تراجم الرجال ونسبها إلى معجم الأدباء، وكأنّه أفاد ذلك من السيوطيّ في بغية الوعاة.

وفي فوات الوفيات والوافي شيء من هذا أيضًا.

وكأنّي هنا أجدني مضطرًّا إلى الحديث عمّا عرض من تداخل بين معجم الأدباء، وما كان من معجم الشعراء الذي لم يصل إلينا.

فقد ذكر ياقوت[١٦] فقال: وكنتُ قد شرعتُ عند شروعي في هذا الكتاب أو قبله [أي معجم الأدباء] في جمع كتابٍ في أخبار الشعراء المتأخّرين والقدماء، فأودعتُ ذلك الكتاب كلّ ما غلبَ عليه الشعر فدُوّن ديوانه فشاع ذكره وشأنه، ولم يشتهر برواية الكتب وتصنيفها.

أقول: ولا أراه قد التزم بهذا، فقد جعل من الشعراء نحويّين عُرفوا بالنحو واللغة، ولكنّه استحسن لهم بعض ما أثر عنهم من شعر ولو كان قليلًا، وسترى هذا.

وقد نجد من الشعراء مَن ترجم لهم في معجم الشعراء وأشار إلى

---

(١٢) أنظر مقدّمة معجم الأدباء، ط. دار المأمون، القاهرة، لا.ت.
(١٣) معجم الأدباء، (ت. إحسان عبّاس)، ٤/١٦٠٣.
(١٤) المصدر نفسه، ٤/١٦٠٤.
(١٥) المصدر نفسه، ٤/١٧٥٤، ٤/١٧٥٥.
(١٦) المصدر نفسه، ص ٨.

هذا في معجم الأدباء[١٧]، ومن هؤلاء محمّد بن أميّة وكلثوم بن عمرو العتابيّ وغيرهما.

وقد تنبّه إلى هذا التداخل الأستاذ إحسان عبّاس في «مقدّمته» فقال:

ومن المقطوع به أنّ بعض تراجم معجم الشعراء قد اختلطت بما نشر من معجم الأدباء، ذلك لأنّ أناسًا لا يعرفون إلاّ بالشعر في عصور لم يكن التأليف فيها شائعًا في صدر الإسلام وعصر بني أميّة، ومن هؤلاء: أبو ذؤيب الهذليّ، وأبو زبيد الطائيّ، والفرزدق، ويزيد بن مفرّغ، وابن الطثرية، وابن ميّادة، وشبيب بن البرصاء، ورؤبة بن العجّاج، وشعراء من المحدثين مثل أبي دلامة، وحمّاد عجرد، فهؤلاء وأمثالهم يجب ألاّ يُذكّروا في معجم للأدباء. بل ربّما ذهبنا إلى ما هو أبعد من ذلك فترقّفنا على بعض المذكورين في معجم الأدباء واستنتجنا من بعض الظواهر في تراجمهم أنّ ترجماتهم ليست ممّا كتبه ياقوت[١٨].

أقول: وقد بدا لي شيء من هذا وقيّدته في جذاذات لي[١٩]. وقد دُفعت إلى هذا بما أفدته من محاضرات أستاذي الدكتور مصطفى جوّاد قبل ما كان منه في تحرير ما نشره في مجلّة المجمع العلميّ العراقيّ. غير أنّ الأستاذ إحسان عبّاس قد خلص إلى قوله: ولكن دعنا لا نسرف في التقدير فإثبات هذا أمر عسير. ولكنّ الأستاذ مصطفى جوّاد لم يكن مترددًا حين عرض للشعراء الذين أُدرجوا في معجم الأدباء كما سنرى. وأعود إلى «المعجمات الثلاثة» لأقول: إنّ بينها وشيجة رحم، فكلّها عنيت بالرجال، وقد يكون لي أن أستدرك قليلًا فأقول: إنّ ما في معجم البلدان ممّا يخصّ العلم «الجغرافيّ» في كثير من موادّه حاشية لا تقدّم فائدة كبيرة، وكنتُ قد أشرتُ إلى هذا في أوّل هذا الموجز. ولي هنا أن أقف على ما سُمّي في

---

(١٧) معجم الأدباء، ٢٢٠٣، ٢٢١٣.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٢٩٢٠.

(١٩) كان من جذاذاتي جملة كبيرة بدا لي وأنا أعتمد على إشارات مفيدة في معجم الأدباء وغيره من المصادر، أنّها من تراجم معجم الشعراء وهي مودعة في خزانتي ببغداد التي عزّ عليّ الوصول إليها.

كشف الظنون «إرشاد الألبّاء في معرفة الأدباء» وقد جاء في التعريف به: «وفيه ذكر النحاة واللغويّين والقرّاء وعلماء الأخبار والأنساب والكتّاب وكلّ مصنف في الأدب».

وكأنّي هنا أقول: إنّ مرادّ هذه «المعجمات» ترجع إلى ما أفاده ياقوت من درسه وقراءة الآثار، وهذا يفوق ما أخذه عن شيوخه وأصحابه. وقد أستظهر على هذا بما نعرف من سيرته، وفيها أنّه شغل بحاجات مولاه عسكر بن إبراهيم، وأنّه كان يرسله إلى عدّة بلدان. ثمّ انصرف إلى نسخ الكتب سنة ٥٩٦هـ، ثمّ عاد إلى صلته بمولاه كما بيّنّا حتّى توفّي صاحبه. وكأنّه استأنف النساخة وقراءة الكتب بعد سنة ٦٠٠هـ.

وقد رحل رحلة واسعة انتهى فيها إلى مرو في خراسان وأقام يتّجر، ثمّ انتقل إلى خوارزم. لقد عرف في خزائن مرو: الخزانة العزيزيّة والخزانة الكماليّة، وخزانة نظام الملك محمّد بن إسحاق، وخزانتي السمعانيّين وغيرها.

ثمّ إنّه توارى عند خروج التتر سنة ٦١٦، ونزل الموصل وعاش معوزًا لا يجد حاجته من القوت، ثمّ غادر الموصل إلى حلب.

أقول: كأنّي أراه لا يملك الوقت الكثير ليخلص إلى ما ذُكر من شيوخه فيأخذ عنهم ما رووه. فكيف يكون له أن يأخذ الكثير من شيوخه وهم:

سالم بن أحمد بن سالم أبو المرجّى الأديب النحويّ العروضيّ[٢٠].

والوجيه الكبير المبارك بن المبارك الضرير الذي قال عنه ياقوت: هو شيخي الذي به تخرّجت وعليه قرأت. وهو صاحب النحو في «النظاميّة...»[٢١].

وتاج الدين أبو اليمن الكنديّ، زيد بن الحسن من علماء النحو،

---

(٢٠) معجم الأدباء، ١٣٣٩.

(٢١) سير أعلام النبلاء، بيروت، ١٩٨١-١٩٨٢، ٢٢/٨٨.

وهو شيخ ابن النجّار[٢٢].

وأبو البقاء العكبريّ عبدالله بن الحسين المعروف بالنحو واللغة...[٢٣].

وابن الدبيثيّ، محمّد بن سعيد، قال فيه ياقوت: شيخنا الذي استفدنا منه وعنه أخذنا، ذيّل على ذيل ابن السمعانيّ على تاريخ الخطيب...[٢٤].

قال الأستاذ إحسان عبّاس: سقطت ترجمته من معجم الأدباء.

وأبو المظفّر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعانيّ...[٢٥].

وعبد العزيز بن مبارك بن محمود الجنابذيّ...[٢٦].

والحسن بن أحمد بن يُوسف الأوقيّ...[٢٧].

ومحمّد بن الخضر بن محمّد الحرّانيّ، ابن تيميّة الباجديّ...[٢٨].

وأمّا أصحابه وغيرهم ممّن اتّصل بهم فكثيرون ومنهم ابن النجّار، والقفطيّ (صاحب الإنباه).

أقول: ولستُ أدري هذه الصلة بأولئك الشيوخ ومَن كان له اتّصال بهم من أصدقائه، ولكنّي أقول: إنّ معارفه بالرجال من أهل الأدب على سعة في ذلك العصر تجعلني أن أذهب إلى ما اختصّ به من الكتب

---

(٢٢) معجم الأدباء، ١٣٣٠؛ سير أعلام النبلاء، ٢٢/٣٤.

(٢٣) معجم الأدباء، ١٥١٥؛ سير أعلام النبلاء، ٢٢/٩١-٩٢.

(٢٤) تاريخ الإسلام للذهبيّ/ الطبعة الرابعة والعشرون، بيروت، ص ٣٢٠-٣٢٢؛ والوافي ٣/١٠٢.

(٢٥) سير أعلام النبلاء، ٢٢/١٠٧.

(٢٦) معجم البلدان، ٢/١٤١.

(٢٧) المصدر نفسه، ١/٤٠٨.

(٢٨) المصدر نفسه، ١/٤٥٣ (باجدا). وقد أفدت هذا كلّه من مقدّمة الأستاذ إحسان، ولكنّي رجعت إلى مظانّها للفائدة.

والإخلاد إلى خزانتها[٢٩]. ثمّ إنّ الحقبة التي خلص فيها إلى الدرس بعد أن أعتقه مالكه، وانقطاعه إلى النساخة من أجل كسب قوته، أقول: كلّ ذلك يدفعني إلى القول إنّه لم يعوّل على القليل الذي أتيح له أن يأخذه من شيوخه.

وقد جاء في معجم الأدباء أنّه يزور «حلب» ويدقّ الباب على القاسم بن القاسم الواسطيّ[٣٠]، فيخرج إليه الواسطيّ ويملي عليه عند باب داره أسماء تصانيفه الكثيرة[٣١].

وإذا كان لنا أن نعرض لتصانيف ياقوت غير المعجمات الثلاثة نجدها محصول ما كان له من قراءات، وهي تشير إلى خصوصيّته الأدبيّة بما كان للأدب في عصره من دلالات.

وكأنّي أرى المبدأ والمآل من كتبه التاريخيّة الذي لم يُوصِل إلينا شيئًا من أخبار الأمم والملوك والدول، ومثل هذا غيره في أخبار الدول.

وكتاب الأبنية لا بدّ أن يكون ما كان له من قراءات في كتاب سيبويه والأصول لابن السرّاج وغيرهما. ومن هذا كتابه الردّ على ابن جنّي في كتابه «سرّ صناعة الإعراب»[٣٢].

ولعلّ أخبار المتنبّي شيء ممّا قرأه من مصادر المتنبّي[٣٣]. ولعلّ شيئًا منه في «معجمَيْه».

---

(٢٩) أقول: ويندرج في هذا معجم البلدان الذي حفل بأسماء الرجال من أهل الأدب ومنهم الشعراء، وكأنّي أجده وهو يعرض للشعراء وأخبارهم مخالفًا لما عرفناه من كتب المواضع والأمكنة التي اقتصرت على الإشارة إلى الموضع بأشدّ ما يكون الإيجاز.

(٣٠) له ترجمة في معجم الأدباء.

(٣١) معجم الأدباء، ٥/٢٢١٨.

(٣٢) ومن هذه الكتب ما اختصره في النسب الذي أسماه المقتضب في النسب عن جمهرة ابن الكلبيّ، وما اختصره من تاريخ بغداد.

(٣٣) قلتُ: كان ياقوت أديبًا فكان أن عرض لفنون الأدب في عصره، فكان من تصانيفه كتاب في ضرائر الشعر.

وقال ياقوت: نقلتُ عن الأغاني في كتابي الموسوم بـأخبار الشعراء فأكثرت[٣٤].

وقد كان لي أن أفدتُ من الكتب المطبوعة والمخطوطة أيّام الطلب في باريس في دار الكتب الوطنيّة وفي مكتبة مدرسة اللغات الشرقيّة شيئًا كثيرًا من موادّ معجم الشعراء، وأذكر من ذلك ما كان من ذيل ابن الدبيثيّ وذيل ابن النجّار وغيرهما، وهذا كلّه ممّا بقي في خزائني في بغداد التي تركتها وقد غادرتها إلى عالم الضياع. ولو كان بين يدي ما كان من أوراقي العتيقة لكان لي الكثير من معجم الشعراء.

وأذكر أنّ شيئًا ممّا وقفتُ عليه وجدتُه في معجم البلدان غير مُشار إليه أنّه من موادّ معجم الشعراء. وكان من ذلك أن جعلتُ أغلب ما ورد من الشعراء في معجم الأدباء من المعجم الآخر، وإن كان لياقوت بعض القيود في التفريق ما يجب أن يكون هنا أو هناك. وقد كان هذا ممّا اتّفق عليه الدارسون الذين اطمأنّوا إلى ما كان من خُلط بين المعجمَيْن.

وأقول: إنّ جمهرة من موادّ معجم البلدان قد جمعت بين الإفادة من المواضع والبلدان والإفادة الأدبيّة، وأنا أميل إلى أنّ بها فيها من الشعراء ممّن عُرفوا بالشعر وممّن قلّ لديهم؛ ولكنّ هذا القليل لحفز المؤلّف على أن يضمّهم إلى معجمه في الشعراء.

وسأعرض لطائفة من هؤلاء وأنا أشير إلى «الموضع» الذي جاءوا فيه، فأقول:

١ - آمِد:

بلد حصين... على نشز دجلة...

ينسب إليها[٣٥] الآمِديّ... صاحب الموازنة....

أقول: وهذا لا يهمّني، ولكن الذي يهمّني ما ورد في قوله:

---

(٣٤) معجم الأدباء، ص ١٧٠٧-١٧٠٨.

(٣٥) أقول: جُعل «البلد» مؤنّثًا، وهو شيء معروف تجده في العصور المتأخّرة.

وينسب إليها من المتأخرين أبو المكارم محمّد بن الحسين الآمديّ، شاعر بغداد مكثر مجيد، مدح جمال الدين وزير الموصل، ومن شعره:

ورَنَّ قميص الليل حتّى كأنّه سليبٌ بأنفاس الصّبا متوشّحُ

[ثلاثة أبيات]. مات أبو المكارم هذا سنة ٥٥٢هـ[٣٦].

٢ - أبان:

أبان الأبيض شرقيّ الحاجر فيه نخل وماء لبني فزارة وعبس. وأبان الأسود... حدّث أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد[٣٧] قال: كان بعض الأعراب يقطع الطريق فأخذه والي اليمامة في عمله فحبسه فحنّ إلى وطنه فقال:

أقول لبرَّابَيَّ والسجن مُغلقٌ وقد لاح برقٌ: ما الذي نَرَيانِ

[خمسة أبيات]

قلتُ: وفوائد ياقوت في معجم البلدان كثيرة تذهب في أشتاتٍ من المعارف، قال: «والأباني» منسوب إلى «أبانَيْن»، وأضاف:

وكان مهلهل بن ربيعة أخو كليب، بعدّ حرب البسوس، تنقّل في القبائل حتّى جاور قومًا من مذحج يقال لهم: بنو جَنْب وهم ستّة رجال: منبّه والحارث والعليّ وسَيْحان وشِمران وهِنّان، ويقال لهؤلاء الستّة: جَنْب لأنّهم جانبوا أخاهم صُداء، فنزل فيهم مهلهل، فخطبوا إليه ميّة أخته، فامتنع فأكرهوه حتّى زوّجهم، فقال:

أنكَحَها فقدُها الأراقم في جَنْبٍ وكان الخِباء من أدَمِ

[أربعة أبيات][٣٨].

---

(٣٦) معجم البلدان، «آمد».

(٣٧) أقول: وهذا يشير إلى أنّ ما كان من المعارف الكثيرة في معجمات ياقوت يرجع إلى ما كان له من قراءات في مصادر الأدب.

(٣٨) معجم البلدان، (أبان).

٣ - الأبرَشِيّة:

موضع منسوب إلى الأبرش!

قال الأحيمر السعديّ:

ونُبِّئتُ أنّ الحيّ سعدًا تخاذلوا حماهم وهم، لو يعصمون، كثيرُ

[خمسة أبيات][٣٩].

٤ - الأبرقان:

تثنية الأبرق، وإذا جاءوا بالأبرقَيْن في شعرهم فأكثر ما يريدون به أبرق حُجر اليمامة، وهو منزل على طريق مكّة من البصرة...

وقال بعض الأعراب يذكرهما:

أقولُ وفوق البحر نخشى سفينةً تميلُ على الأعطاف كلّ مَيلِ

[خمسة أبيات].

وقال أعرابيّ من طيّئ:

فسُقْيًا لأيّامٍ مضَين من الصِّبا وعيشٍ لنا بالأبرَقَين قصيرِ

[سبعة أبيات][٤٠].

٥ - أبو قُبيس:

جبل...

وقالت امرأة ولها ولدان:

وقد زعموا أنّي جزعتُ عليهما وهل جَزَعٌ إن قلتُ وابأباهما

هما أخوا، في الحرب، مَن لا أخاله إذا خاف يومًا نبوةً فدعاهما[٤١]

---

(٣٩) معجم البلدان، (أبرشية). أقول: وقد حسب أحد النصارى هذه الكلمة في هذا البيت من الرموز النصرانيّة.

(٤٠) المصدر نفسه، (الأبرقان). أقول: وفي الأمكنة والمياه والجبال للزمخشريّ: أنّ «الأبرقان» ماء لبني جعفر.

(٤١) معجم البلدان، (أبو قبيس).

٦ - أثول:

موضع في أرض خوزستان، له ذكر في الفتوح.

قال سلمى بن القين، وكان في جيش أبي موسى الأشعريّ لمّا فتح خوزستان:

أكلّف أن أزيرَ بني تميمٍ جموعَ الفرس شيرًا شُوترَبا[٤٢]

[ثلاثة أبيات].

٧ - الأثيل:

موضع قرب المدينة... وكان النبيّ - ﷺ - قتل عنده النضر بن الحارث بن كِلدة عند منصرفه من بدر، فقالت قتيلة بنت النضر ترثي أباها وتمدح رسول الله - ﷺ -:

يا راكبًا إنّ الأثيل مَظِنّة من صبح خامسةٍ وأنتَ موفّقُ

فلمّا سمع النبيّ - ﷺ - شعرها رقّ لها وقال: لو سمعتُ شعرها قبل قتله لوهبته لها. [تسعة أبيات][٤٣].

٨ - أجنادين:

قال ياقوت: وأصحاب الحديث يقولون إنّه بلفظ التثنية، ومن المحصّلين مَن يقول: بلفظ الجمع، وهو موضع بالشام من نواحي فلسطين.

أقول: ووقعة أجنادين معروفة في خبر الفتوح الإسلاميّة الأولى...

وقال: وانتهى خبر الوقعة إلى هرقل فنُخب قلبه... وهرب إلى أنطاكية... فقال زياد بن حنظلة:

ونحن تركنا أرطبونَ مطرَّدًا إلى المسجد الأقصى، وفيه حُسورُ

[ستّة أبيات][٤٤].

---

(٤٢) معجم البلدان، (أثول).

(٤٣) المصدر نفسه، (أثيل).

(٤٤) المصدر نفسه، (أجنادين).

٩ - أُحُد:

وهو الجبل الذي كانت عنده غزوة أُحُد، وهو جبل أحمر شماليّ المدينة...

وورد محمّد بن عبد الملك الثقفيّ إلى بغداد، فحنّ إلى وطنه وذكر أُحُدًا وغيره من نواحي المدينة، فقال:

نَفَى النومَ عنّي، فالفؤادُ كئيبُ نوائبُ همٍّ ما تزال تنوبُ

[عشرة أبيات][٤٥].

١٠ - الأحزاب:

حدّث الزبير بن بكّار قال: لمّا وُلّي الحسن بن زيد المدينة، منع عبدالله بن مسلم بن جندب الهذليّ أن يؤمّ الناس في مسجد الأحزاب، فقال له: أصلح الله الأمير، لِمَ منعتني مقامي ومقام آباتي؟ قال: ما منعك منه إلاّ يومُ الأربعاء، يريد قوله:

يا للرجال ليوم الأربعاء أما ينفكّ يُحدث لي بعد النبى طَرَبا

[تسعة أبيات][٤٦].

وأختم هذا الموجز بما اجتزأت به ممّا هو من معجم الشعراء وإن لم يشر ياقوت، ولكنّي تيقّنت من ذلك بما أفدته من المصادر المخطوطة وغيرها ممّا ادّخرتُه في خزانتي التي أُتصيتُ عنها. وهذا وغيره ممّا كان في معجم الأدباء وما كان قد أشار إليه في معجم البلدان وقد أشرتُ إليه في صفحات سبقت، يؤلّف هذا «المعجم» الذي لم يصل إلينا، وأشير إلى ما أورده ياقوت في «صنعاء» ممّا علمت أنّه يندرج في ما أنا فيه.

أقول: وقد ورد هذا الأدب في مادّة «أُشَي»:

وهو وادٍ باليمامة فيه نخل... قال زياد بن منقذ أخو المرّار وهما من تميم:

---

(٤٥) معجم البلدان، (أُحُد).
(٤٦) المصدر نفسه، (الأحزاب).

لا حبّذا أنتِ يا صنعاء من بَلَدٍ ولا شَروب هوًى منّي ولا تُقُمُ
وحبّذا حين تمسي الريح باردة وادي أُشَيٍّ وفتيانٍ به هُضُم

وهي في ثلاثة عشر بيتًا وقد ذكرها في «صنعاء»[٤٧].

أقول: وهي ممّا اختاره أبو تمّام في حماسته.

وجاء في «صنعاء» أيضًا قول أبي محمّد اليزيديّ يمدحها ويفضّلها على غيرها من الحواضر وكان قد دخلها:

قلتُ: ونفسي جمٌّ تأزُّمُها تصبر إلى أهلها وأندُبُها
سقيًا لصنعاء لا أرى بَلَدًا أوطنه الموطنون يُشبهها

والقصيدة في ثلاثة عشر بيتًا[٤٨].

أقول: وأبو محمّد اليزيديّ هذا هو أحد «اليزيديّين» الذين ترجم لهم أصحاب طبقات النحو ومنهم: أبو عبدالله محمّد بن أبي محمّد اليزيديّ الذي قيل فيه: إنّه كانَ شاعرًا مجيدًا على كونه عالمًا باللغة[٤٩].

وقد وجدتُ أبا محمّد اليزيديّ الذي ذكره ياقوت في «صنعاء» في الأغاني يقول:

في غابر الناس الذين بقوا والفُرَّط الماضين إذ سَلفوا[٥٠]

وله أيضًا في أخبار سلم الخاسر:

رُبَّ مغتمرٍ بعافيةٍ غمط النعماء من أشَرِهْ[٥١]

---

(٤٧) معجم البلدان، (أشيّ).

(٤٨) المصدر نفسه، (صنعاء).

(٤٩) أنظر: الأنباريّ، نزهة الألبّاء (ط. المنار في الزرقاء الأردنّ، ١٩٨٥)، ص ١١٨، ١٨٢. أقول: ولأبي محمّد اليزيدي أخباره في الأغاني ٢٠/ ٢٤٠-٢٤٨، (تحقيق عليّ النجدي ناصف).

(٥٠) الأغاني ٢٠/ ٢٣٢، أقول: و«الغابر» في البيت بمعنى الباقي. وقد وهم في هذا محقّق كتاب العبر... للذهبيّ (ط. الكويت) في إثبات الاسم «العبر في خبر من غَبَرَ» والصواب هنا: «في خبر مَن عَبَرَ» أي الذاهب. فقد ذهب ظنّه إلى أنّ «الغابر» هو الماضي، وهو الشائع في عربيّتنا المعاصرة.

(٥١) هذه رواية الأستاذ صبحي البصّام المصحّحة لما ورد في الأغاني ١٩/ ٢٦١-٢٨٧ وهو:

رُبَّ مغمومٍ بعافيةٍ غمط النعمة من أشرهْ

وأقول: لا بدّ أن يكون عديّ بن زيد الشاعر وعديّ بن الرقّاع وغيرهما ممّن لم أجدهم في كتاب الأدباء لياقوت من معجمه الثالث الذي حبسه على «الشعراء».

ومن المفيد أن أُنهي درسي هذا بما كان من فوائد أستاذي مصطفى جوّاد - رحمه الله - في كتابه الذي وسمه بالضائع من معجم الأدباء وهو البحث المستفيض الذي نشره في مجلّة المجمع العلميّ العراقيّ كما كانت الإشارة إلى هذا.

أقول: اقتبست هذه الفوائد ممّا ورد في مقدّمة هذا الكتاب[٥٢]، قال الأستاذ في كلامه على نشرة الأستاذ المستشرق مرغوليوث التي كانت الأصل الذي اعتُمد في النشرة الأخرى بعدها. لقد تكلّم على ما كان من مشكلات النشرة وعلى ما كان من تجزئتها وما اتّصل بذلك من أمور، وما اشتمل عليه كلّ جزء من تراجم، وقد جاء في كلامه هذا:

وقد لحظتُ أنّ في الجزء الرابع والجزء السابع على اعتقاد أصالتهما تراجم من تراجم الشعراء الذين لم يستحقّوا أن يُسمّوا بالأدباء[٥٣]، كالحسين بن حجّاج[٥٤] (ج٤، ص٦) والحسن بن الحسن بن واسان الدمشقيّ (ص ١٧)، والحسين بن عبدالله بن يوسف المعروف بابن شبل البغداديّ (ص ٣٨).

أقول: ومضى الأستاذ مصطفى جوّاد يذكر أسماء الشعراء الذين

---

(٥٢) الضائع من معجم الأدباء لمصطفى جوّاد (نشر في بغداد سنة ١٩٩٠، شركة المعرفة للنشر والتوزيع) ص ١٣-١٧.

(٥٣) أراد الأستاذ مصطفى جوّاد بـ«الأدباء» ما أراد ياقوت وسائر القدماء من كونها شهرة يندرج فيها النحاة واللغويّون والمفسّرون وأهل الحديث وسائر المعارف القديمة. وقد يكون لنا أن نفيد هذا في كتب طبقات النحويّين مثلًا، فقد وسم الأنباريّ كتابه بنزهة الألبّاء في طبقات الأدباء ولذلك كان فيه النحاة واللغويّون، وأنت تجد فيه المتنبّي والمعرّي وأبا تمّام وأبا حيّان التوحيديّ وغيرهم.

(٥٤) حاشية لمصطفى جوّاد:
هو الحسين بن أحمد بن محمّد المعروف بـ«ابن حجّاج»، وفي قول آخر: بـ«ابن الحجّاج» على اللمح.

بُدئت أسماؤهم بحرف الحاء، وتحوّل بعد ذلك إلى الشعراء الذين بُدئت أسماؤهم بحرف الخاء، ثمّ ذهب إلى ما كان منهم بحرف الدال وبحرف الراء، ثمّ الزاي فالسين فالشين، ولم يكن منهم من حرف الطاء والظاء والعين إلاّ شاعر واحد في كلّ حرف. لقد كان هذا كلّه في الجزء الرابع من نشرة الأستاذ المستشرق.

قال الأستاذ مصطفى جوّاد:

«هذه التراجم في الجزء الرابع الذي يكاد يكون «معجمًا للشعراء»، ولعلّه أحد أجزاء معجم الشعراء الآتي ذكره من تأليف ياقوت أيضًا.

«وأمّا الجزء السابع بل مختصره ففيه من تراجم الشعراء الذين لم يوصفوا بالأدباء: محمّد بن عليّ بن أبي مروان الأمويّ (ج ٧، ص ٤٧)، ومحمّد بن لنكك البصريّ (ص ٧٧)...» أقول: حتّى إذا انتهى ممّن بدئت أسماؤهم بحرف الميم، وهم بضعة نفر تحوّل إلى مَن بُدئت أسماؤهم بالنون وهم أربعة شعراء رابعهم نُصيب مولى المهديّ. ولم يكن غير الفرزدق في حرف الهاء وهو همّام بن غالب. وأمّا الذين بدئت أسماؤهم بالياء وهم أحد عشر شاعرًا آخرهم يونس بن يونس الخيّاط من مخضرمي الدولتين (ص ٣١٢).

وأعود إلى فوائد أستاذنا مصطفى جوّاد - رحمه الله - الذي مضى قائلًا:

«فكأنّ الجزء الرابع والجزء السابع من معجم الأدباء منتزعان من معجم الشعراء لياقوت الحمويّ وهو أخبار الشعراء على تسمية أخرى (إن لم يكونا جزءين منه) وأضيف إليهما عدّة تراجم من تراجم الأدباء».

أقول: إنتهى كلام الأستاذ مصطفى جوّاد، ولي في ذلك قول هو:

كأنّ الدارسين لا يملكون على وجه القطع أن يكون هذا الذي خلص إليه الأستاذ المحقّق الجليل، فقد أتردّد في قبوله وأشير إلى أنّ المصنّف، وهو ياقوت، بدا له في دأبه وهو يبسط معرفته المعجميّة أن يفرد الشعراء في معجم خاصّ بهم، وهم لديه أخصّ من الأدباء، ولا أستطيع أن أتبيّن:

هل كان منه هذا، وهل أنجزه؟

كأنّي أرجّح وأذهب إلى أنّ الأمر رغبة منه لم يستطع تحقيقها فكان منه أن ضمّ الشعراء إلى أصحابهم الأدباء. وقد يردّني عن هذا بل يصدّني عنه فأقول: لو كان هذا لضمّ الشعراء كافّة ولكنّه لم يفعل هذا، ذلك أنّ كثيرًا من الشعراء قد خلا عنهم معجم الأدباء.

وأقول: هل كان إدراج الشعراء في معجم الأدباء من صنعة المصنّفين والنسّاخ بعد ياقوت؟ قد يكون هذا أيضًا.

وأخلص من هذا إلى شيء لا أقطع فيه فأقول: ما زلنا ننتظر الدرس الجادّ للوصول إلى هذا الذي يحيك في أنفسنا.

وأعود إلى فوائد الأستاذ مصطفى جوّاد:

وقد ذكر ياقوت كتابه المذكور أعني أخبار الشعراء في أثناء كتبه، قال في الكلام على «بركة زلزل» في معجم البلدان: «وكانت زلزل تحت إبراهيم الموصلي فقال فيه في قصّة ذكرتُها في أخبار إبراهيم من كتاب أخبار الشعراء الذي جمعته».

وقال مصطفى جوّاد أيضًا: وذكره أيضًا في الكلام على «الرملة» و«جفير»[٥٥]، ومن المحتمل أنّه ذكره في مواضع أخرى.

---

(٥٥) قال ياقوت في معجم البلدان: جَفير: موضع في شعر حُجر الملك آكل المرار، قال:

لِمَن النارُ أوقدتْ بجفيـ ... ـر لم يَنَل عنك مُصطَلٍ مقرورُ

في أبيات وقصّة عجيبة ذكرتها في أخبار امرئ القيس بن حجر من كتابي في أخبار الشعراء.

وأمّا «الرملة» التي هي من مادّة أخبار الشعراء فهي «رملة فلسطين». جاء في معجم البلدان: . . . وكان أبو الحسن التهاميّ الشاعر أقام بها وصار خطيبها وتزوّج بها وولد له ولد فمات بها فقال يرثيه:

أبا القفل طال الليل أم خانني صبري ... فخُيِّل لي أنّ الكواكب لا تسري؟

أرى الرملة البيضاء بعدك أظلمت ... فذعرني ليل ليس يقضي إلى فجر

وما ذاك إلاّ أنّ قبـ ... ـرك وديعةٌ ... أبى ربُّها أن تُستَردَّ إلى الحشر

بنفسي هلال كنتُ أوجر تمامه ... فعاجَلَه المقدار في غُرّة الشهر

وهي قصيدة ذكرتُها في كتابي في أخبار الشعراء مع أختها:

حكم المنيّة في البريّة جاري

وأضاف: وأذكر أيضًا بهذه المناسبة، كما يقال اليوم، ما قاله الأستاذ محمّد عبد الجليل في مقدّمة رسالة عين القضاة للهمذانيّ، وقد نشرها في أوروبّا وقدّم لها بمقدّمة باللغة الفرنسيّة قال فيها: «نصّ ياقوت الحمويّ في معجم البلدان يختصّ بموت عين القضاة وموت أبيه وجدّه، ويضيف إلى ذلك قوله:

«كما ذكرنا في كتاب أخبار الأدباء، أي الكتاب الذي نشره مرغوليوث. ثمّ إنّ وستنفلد وبروكلمان لم يذكرا أخبار الأدباء في عداد كتب ياقوت الحمويّ، ولكنّ الحاج خليفة ذكره في كشف الظنون منسوبًا إلى تاج الدين عليّ بن أنجب البغداديّ المعروف بابن الساعي المتوفّى بعد ستّين سنة من وفاة ياقوت [علّق مصطفى جوّاد مصحّحًا فقال: الصحيح بعد ثمانٍ وأربعين سنة»: ٦٧٤-٦٢٦=٤٨].

وما زلنا في كلام الأستاذ محمّد عبد الجليل الذي مضى في قوله:

«ولعلّ بعض النسخ المخطوطة التي نشر عليها معجم الأدباء هي من تأليف ابن الساعي المذكور، أو مأخوذة من نسخة لها صلة بكتابه، فتكون جملة (كما ذكرنا في كتاب أخبار الأدباء) زيادة أو شرحًا أضيفا إلى الأصل وهو أمر سهل مألوف في المعجمات»[٥٦].

إنتهى كلام الأستاذ محمّد عبد الجليل.

وأعود إلى آخر ما كان لي من فوائد الأستاذ مصطفى جوّاد، وهو قوله:

«وقد فات ياقوتًا ذكر فريق من الأدباء فمنهم مَن لم يطّلع على تراجمهم، كما يدلّ عليه كتاب بغية الوعاة للسيوطي. ومنهم مَن لم يجدهم حريّين بأن يُذكَروا في معجمه مع أنّه نبّه على أدبهم في معجم البلدان بحسب مواضع بلدانهم. فالمهملون استخمالًا منه لهم أو غفلة منه

(٥٦) مقدّمة رسالة شكوى الغريب عن الأوطان إلى علماء البلدان، ص ٤. نشرها محمّد عبد الجليل في الجريدة الآسيويّة (Journal Asiatique) في شباط ومارس سنة ١٩٣٠.

عنهم ليسوا في عداد الذين عقدتُ هذا البحث في ذكرهم، وإنّما عقدتُه فيما ضاع من التراجم من معجم الأدباء حسب، وعثرت عليه في مطالعاتي وتصفّحاتي وأضفت إليه أشياء أخرى للإفادة وهو التراجم الآتية:

أقول: إنتهت جملة هذه الفوائد التي اشتملت عليها مقدّمة كتاب الضائع من معجم الأدباء[٥٧] لمصطفى جوّاد، وبذلك أختم ما كان لي في بحثي الذي وسمته بـ مع ياقوت في معجماته. ثمّ تحوّل الأستاذ بعد مقدّمته المفيدة فبدأ بإثبات ما هو ضائع من معجم الأدباء مرتّبًا على حروف المعجم. لقد كان يذكر قول ياقوت في صاحب الترجمة وهو الذي وقف عليه في المصادر القديمة، وفيما ذكره ياقوت نفسه في معجم البلدان، حتّى إذا تمّ له ذلك تحوّل إلى بقيّة أخباره في مصادر أخرى. لقد أثبت هذا تحت قوله: تتمّة.

(٥٧) أقول: من المفيد أن يعود الدارس في آثار ياقوت إلى فوائد مصطفى جوّاد هذه. لقد كان لهذا الأستاذ المجتهد تعليقات كثيرة يكاد يكون كلّ منها كتابًا برأسه، وأنا واثق بأنّ أهل العلم قد أفادوا من تعليقاته على فوات الوفيات، بتحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، وغيرها.

من منشورات دار المشرق